12 me Année No. 562

Lundi - 10 - 4 - 1944

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
٨٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ١٥ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العــــدد ٥٦٢ « القاهرة في يوم الإثنين ١٧ ربيع الآخر سنة ١٣٦٣ — الموافق ١٠ أبريل سنة ١٩٤٤ » السنة الثانية عشرة

الفهــــرس

في الأدب والفن

للأستاذ توفيق الحكيم

قرأت في هذا الأسبوع رأيين في الأدب والفن أحدهما يعنى والآخر يهمني . فأما الأول فهو رأي صديقنا الأستاذ ابراهيم عبد القادر المازني في تقريظه لقصتي السينمائية « رصاصة في القلب » الذي نشره في جريدة البلاغ تحت عنوان « بين الأدب والسينما » ، وقد تحدث فيه عني حديثاً مستفيضاً ، ورحب بالتفاتي إلى الفن السينمائي ترحيباً نم عن نفس نبيلة وزمالة شريفة . ثم تطرق من ذلك إلى الإسهاب في صلتي بالأدب العربي قائلاً : « وليس لصديقي الحكيم عيب فيما أرى سوى قلة عنايته بالأدب العربي . ولست أزعم أنه لا يقرأ من الأدب العربي شيئاً ، والعياذ بالله ، فإن هذا يكون شططاً لا يغتفر ولا يقبل ولا يعقل ، وإنما أقول إنه لا يعنى به كعنايته بالأدب الغربي من فرنسي على الخصوص ، وإنجليزي وألماني وروسي على العموم ... وهنا موضع التحرر من خطأ قد يقع فيه القارئ أو وهم يركبه ، فلست أقول إن صديقي الحكيم لا يحسن العربية ، أو أن لغته ركيكة أو واهية البناء ، فما إلى شيء من هذا أقصد ... فإن لأسلوبه العربي لجالاً ورشاقة وحلاوة وطلاوة ... » الخ

هكذا قال صديق المازنى . وإذا تأملنا هذا القول ومثله لتكشف لنا عن نتيجة عجيبة : هى أن أمثال تلك الروايات التى تشاع عن إغفالى للأدب العربى ليس فيها ما يضيرنى بقدر ما فيها من إساءة إلى الأدب العربى نفسه . فإن القارئين لأسلوبى الذى تكرم المازنى فأسبغ عليه تلك الصفات لا ريب قائلون : « ها هو ذا كاتب قد استطاع أن يجعل لأسلوبه « جمالاً ورشاقة وحلاوة وطلاوة » دون أن يحتاج فى ذلك إلى الأدب العربى . ففيم الاهتمام بهذا الأدب ، وما نفعه إذن ؟ ! » ماذا يكون الحال إذا قالها الناس أيها الصديق المازنى بينما الحقيقة غير ذلك ؟ فالحق الذى يجب أن يقال هو أنى ما وصلت إلى هذا إلا بعد اطلاع على الأدب العربى وتأمل له ونظر فيه . وكل ما فى الأمر أنى أتناول هذا الأدب تناول رجل الفن لا رجل العلم ولا رجل البحث . وإنى آخذ منه ما ينفعنى وأمضى به صامتاً إلى فنى الذى أمارسه . والفنان يحتاج من مادة اللغة إلى قدر غير القدر الذى يحتاج إليه العالم المحقق للنصوص المفسر للمتون المستخرج للوثائق . وإن الفنان ليعرف بفطرته الفنية ما يلزم لفنه وما لا يلزم ، كالدوحة تدرك جذورها بالفطرة طريقها إلى موارد الماء ومواطن الغذاء . أما ذلك الذى يقال ويحكى عن الجلد والصبر على مشقة أدبنا العربى ، فهو توهم ساذج ، أو مفاخرة نمرفها ممن لا محصول عندهم غير هذا ، فما أظن الغوص فى كتب الأدب العربى أشق من الغوص فى بحار العلوم والفلسفة والآداب والفنون لمختلف الأمم والحضارات . وأنا الذى طالب الأديب بأن يكون « موسوعياً » على قدر الإمكان ، يلم بكل علم وبكل أدب وبكل فن (راجع كتاب زهرة العمر) لا ينتظر منى أن أستهول تلك المشقة المزعومة فى مطالعة أدبنا العربى ! ! على أن الصديق المازنى خليق بالشكر على كل حال ؛ فقد رأى من واجب الرسالة أن يكون مخلصاً فى الرأى . وما أجل هذا الموقف منه ! وما أحرى بى أن أبادله إخلاصاً بإخلاص ونصحاً بنصح ، فأكشف له عن مخاوف طالما ساورتنى وساورت اليقظين من محبيه . فهو قد أراد التقريب بين العامية والفصحى فتبسط فى أسلوبه ومعانيه ، وهذا ما يحمد عليه ؛ ولكن الذى نخشاه هو أن يكون جريه فى طريق التبسيط داعياً إلى أن يجر معه الفكر من عليائه إلى مستوى غير المستوى الذى ينبغى له . ولعلنا واهمون ! ولعلها مخاوف الصداقة ! فالمحبة خوف ورجاء . وكانا يرجو للمازنى أن يحلق إلى جلال الفكرة كما برع فى جمال العبارة . وليس هذا بعزيز على الصديق العزيز .

* * *

وأما الرأى الآخر فهو رأى أخى أحمد أمين بك فى الأدب الأمريكى الذى تحدث عنه فى العدد الماضى من مجلة « الثقافة » قائلاً : « وهذا هو الأدب الأمريكى يحمل لواءه اليوم رجال مارسوا الحياة العملية فى شتى شئونها ، ثم لم يكتبوا فى خيال وأوهام وأحلام ، إنما يكتبون أكثر ما يكتبون فى مشكلاتهم الحالية ومسائلهم اليومية وحياتهم الاجتماعية ، وأكثر هؤلاء لا يستوحون أساطير اليونان والرومان ، وإنما يستوحون مجتمعهم وما فيه وما يصبو إليه . فللأديب العربى أن يستوحى امرأ القيس أو « شهرزاد » ! ولكن يجب أن يكون ذلك نوعاً من الأدب لا كل نوع ، ولا هو النوع الغالب ولا هو الأرقى ... »

مع الأسف أرانى مضطراً أن أقول للصديق المبجل أن استيحاء أساطير اليونان والرومان وامرئ القيس و «شهرزاد» هو النوع الأرقى فى الأدب ... فى كل أدب ... لا فى الماضى وحده ولا فى الحاضر ... بل فى الغد أيضاً وبعد آلاف السنين ، ما دام الإنسان إنساناً ، وما دام رقيه الذهنى بخير لم يصبه نكاس . فالإنسان الأعلى هو الذى يصون « الجمال الفنى » عن الاستغلال الأرضى فى أى صورة من صوره ؛ ويحتفظ به لمتعته الذهنية وثقافته الروحية . وإن اليوم الذى ترى فيه « الأدب » قد استخدم للدعايات الاجتماعية ، و « التصوير » استغل فى معارض الإعلان عن السلع التجارية ، و « الشعر » جعل أداة لإثارة الجماهير فى الانتخابات السياسية ، لهو اليوم الذى نوقن فيه بأن الإنسان قد كر فانقلب طفلاً يضع فى فمه تحف الذهن

وطرّف الفكر ، لأنه لا يدرك لها نفعاً غير ذلك النفع المادى المباشر . والأدب الأمريكي الذى يعجب به أحمد أمين بك هو فى أغلبه صحافة راقية أكثر مما هو أدب حقيق . والأدب الحقيق فيه هو ما استند إلى أساطير اليونان والرومان ، أى مخلوقات الإنسانية التى أبدعتها أحلامها الجميلة وخيالها الرائع . فالخلاف بينى وبين صديقى الأستاذ أحمد أمين هو على معنى « الرقى » ؛ فأنا لا أسلم أبداً بأن رقي الإنسان هو فى تقدم أسباب معاشه المادية . هذا حقاً هو الرقى بالمعنى الأمريكى ، ولكن الرقى بالمعنى الإنسانى المثالى شىء غير ذلك . إن الإنسان الأعلى ليس ذلك الذى يضع كل شىء فى فمه . . . ولكنه ذلك الذى يشعر بحاجته إلى متع معنوية وأغذية روحية وأطعمة ذهنية لا علاقة لها من قرب أو بعد بضرورات حياته المادية أو الجثمانية . هذا هو الفرق الوحيد بين الإنسان والحيوان . فالحيوان لا يحتاج إلى أن يطرب لبيت من الشعر أو لصوت من الغناء أو لتمثال من الرخام ، ولا يمكن أن يخطر له على بال وجود عالم آخر غير عالم الأكل والشرب والمأوى . ولو نشأ أدب بين فصيلة من الحيوان لكان هذا الأدب فى رأيى قائماً فى جملته على مشكلات العراك على صيد الفريسة ... ولاقتصر خياله على الحلم بأن فى بطن كل سبع غزالاً سميناً ، وفي فم كل حيوان فى الغاب صخر أو عظم غذاء موفوراً بغير وثب ولا بحث ولا تربص . بل فلنأخذ مثلاً جماعة النحل أو النمل وقد بلغت من الدقة والتناسق وروح التضامن فى نظامها الاجتماعى ما أثار الدهشة . . . هذا المجتمع الذى شيده النحل على هذا الأساس من « الوعى الاجتماعى » لا « الوعى الفردى » لو قامت فيه نحلة شاعرة أو أديبة ، أو ظهر فيه أدب وشعر ، فما يكون نوعه واتجاهه ومراميه ؟ لا شك عندى أن هذا الأدب أو الشعر سيكون له عين المرامى التى ينزع إليها الأمريكان ويتمناها لنا أخى أحمد أمين . سيتحدث أدب النحل وشعره عن الأزهار من حيث كمية عسلها ، ونصيب كل عامل من عمال النحل فى نقله وإعداده والانتفاع به فى الخلية ، وعن حقوق الطوائف العاملة وواجباتها ، ومشكلاتها اليومية وشئونها الحيوية . أما الذى لن يحدث أبداً فهو التفات النحل فى أدبه أو شعره إلى حسن الأزهار فى ذاتها ، وإلى بهائها فى ألوانها ، وإلى تمايلها اللطيف مع النسيم كأنها تراقصه ، وإلى تفتحها ابتساماً للفجر وهى تعانقه ، وإلى نداها بدموع الليل وهى تفارقه ... لن يفطن النحل إلى هذا أبداً .. ولو فعل لانقلب إنساناً فى لحظة واحدة .

كل فضل الإنسان على غيره من المخلوقات أنه ارتفع إلى العناية بأشياء معنوية لا تتصل مباشرة بطعامه وشرابه ومقومات حياته المادية . وهذه الأشياء سمّاها فيما سماه : الفن والأدب . وحرص على أن تبقى على قدر المستطاع بعيدة عن تفاهاته الأرضية ، لتذكره من حين إلى حين أنه ليس حيواناً . وهنا عظمة الفن والأدب . ولكن مطامع الناس شاءت أن تمد أيديها الغاشية إلى هذا الجوهر السامى لتسخره فى شئون الأرض ؛ فرأينا الشعر والأدب يتجهان إلى غايات نفعية ؛ فاستخدم الشعر أحياناً لمدح الملوك والأمراء من أجل المال والثراء ، أو لنشر الدعوة فى الدين أو السياسة من أجل الثواب أو الجزاء . ولكن كلمة الفن هى العليا دائماً ؛ وحكمه هو النافذ وحده . وها هو ذا قد حكم لامرىء القيس الجاهلى فرفعه وقدمه على داعية الإسلام حسان . وفى هذا الدليل على أن الفن الخالص لوجه الجمال الفنى هو الأرقى والأبقى . وذلك ما لا يسلم به الأستاذ أحمد أمين . فهو يعتقد أن الفن المسخر لخدمة الضرورات اليومية فى المجتمع هو الفن الأرقى ، متأثراً ولا ريب بتلك النظريات الحديثة فى السياسة والاقتصاد التى ترى كلها إلى تملق الجماهير ومداهنة الدهماء ومصانعة الجماعات والنقابات والهيئات ومسايرة الكتل والسواد من الناس والشعوب ، موهمة إياهم بجعل كل شىء فى خدمتهم . وخدمة الجموع معناها خدمة مصالحهم الأرضية المادية من مأكل ومشرب ومأوى ؛ لأن السواد والكتل لن يطلبوا أبداً ولن يقبلوا ولن يعرفوا غير هذا النوع المادى من المطالب . فإذا أردنا تسخير الفن فى هذه الأغراض فمعنى ذلك الهبوط به إلى ذلك اللون من أدب النحل ... أو على الأقل إلى

برناردشو والحروف اللاتينية

للأستاذ ... ـل

قالت مجلة (المستمع العربي) منذ نحو من حولين فى الجزء (١٧) من سنتها الثانية[1] — وهى مجلة القسم العربي فى دار الإذاعة البريطانية — فى حديث عن كتاب (معجزة نشأة اللغة) للأستاذ ويلسون

THE MIRACULOUS BIRTH OF LANGUAGE
By Prof. R.A. Wilson. (Guild Books, 1s.)

[... وتمتاز الطبعة الجديدة من هـذا الكتاب بمقدمة ضافية كتبها (برناردشو) الأديب الإنكليزى المعروف عالج فيها موضوعاً لا يخلو من أهمية لأبناء الشرق الأدنى . إذ يرى هذا الكاتب الألمعى أن حروف الهجاء الإنكليزية لا تناسب اللغة الإنكليزية نظراً لأنها وضعت فى الأصل من أجل اللغة اللاتينية التى تختلف فى مخارج ألفاظها عن لغة أبناء التاميز . وعلى ذلك فهجاؤها يبعد كل البعد عن وقعها على السمع . ولا شك أن هؤلاء الذين يرغبون فى حذق الهجاء الإنكليزى يقرون نقده هذا . وهو نقد لا شك سيهم القارئ العربى أيضاً لاتصاله بالتغيير الذى يقترحه بعضهم بشأن كتابة اللغة العربية بالحروف اللاتينية[1] . إذ يحق لنا أن نتساءل بعد ذلك إذا كان من الحكمة الاستغناء عن حروف الهجاء العربية التى تمتاز على الأقل بأنها وضعت خصوصاً للغة العربية واستبدال حروف بها ، وإن كانت شائعة الاستعمال إلا أنها لا تناسب حتى هذه اللغات التى دأبت على استعمالها منذ أول عهدها بالكتابة]

ذلكم قول المجلة العربية الإنكليزية ، وأغلب ظنى أن الكاتب هو الأستاذ (باربار) المرباني المعروف فى المغرب الأقصى (مراكش) ومصر وفلسطين وغيرها ، وهو رجل

(١) هى اليوم فى سنتها الرابعة

(١) قلت : يعنى الكاتب حسب ظنى بعض الأفرنج مثل ماسينيون الفرنسى الذى كان اقترح ذلك . وإنما يريد من يدعو الأمم العربية من هؤلاء الأفرنج إلى تغيير حروفها — دفنها وهى حية ، دفن الله أمته دفناً قوياً !

ضرب من أدب الدعاية والوعظ والهداية

أما إذا كان فى الإمكان وجود فن يخدم المجتمع دون أن يفقد ذرة من قيمته الفنية العليا فمرحباً به وأسلم من الفور بأنه الأرقى . ولكن هذا لا يتهيأ إلا للأفذاذ الذين لا يظهرون فى كل زمان . فمن أين لنا فى شعرنا بأمثال « المتنبى » ؟ لقد أعدت قراءة ديوانه منذ أسابيع لأنظر كيف بقى ذلك الشعر الذى خرج من وحى الدنانير . الحق أن المال كان باعثه ولكن الفن كان غايته . ذلك الذهن الذى أبدع صوراً ترى لها أحياناً حركة ويبصر لها بريق ويسمع لها رنين كما فى قوله :

وأمواه تصلّ بهـا حصاها صليل الحلى فى أيد الغوانى

ماذا يعنينا منه أن يكون حافزه استجداء مال أو مدح ذى سلطان أو خدمة مجتمع أو تملق شعب ؟ المهم أن يكون هنالك فن قبل كل شيء . بغير هذا ما عاش لنا المتنبى حتى اليوم ؛ فالسلطان يذهب والدولة تدول والشعوب تتغير ؛ ولكن الفن باق ...

أما بعد ، فليتجه الأدب العربى حيث شاء له أخى المبجل أحمد أمين بك . وليخدم الجماعات ومشكلاتها الحالية ومسائلها اليومية ومطالبها المادية ، وليبتعد عن « الفردية » التى هى أساس كل فن ، والتى بغيرها لا يقوم فن ؛ وليتجنب « تراجم الأفراد أو ترجمة الكاتب لنفسه أو تحليل الأديب لبعض الشخصيات أو روايات الغرام » أو نحو ذلك مما يراه صديقى من قبيل النزعات الفردية ؛ ولتنكر الحقيقة القائلة إن « الفنان إذا لم يقل « أنا » فهو ليس بفنان » ، كما أن العالم الذى يقول « أنا » ليس بعالم » لنتنكر ذلك مؤقتاً ولننتظر ... عسى أن يخرج لنا أثر فيه الفن وفيه منفعة السواد ... والله لا يخيب رجاء المصلحين .

توفيق الحكيم

مثقف مهذب طيب ، عرف العربية ونقل إلى لغته كتباً منها .

والحروف اللاتينية التي نقدهـا كاتب القوم العبقري (برنارد شو) وأيدت تلك المجلة نقده إياها – إنما هي الحروف العربية غير المهذبة كتبها كاتبوها من الشمال مكثرين من حروف المد فيها – والبركات في تلـكم الحركات قد خففت وسهل النطق بأحرفها[1] – مطيلين الـكلمة بتسطير حروفها جميعها – والعربية قد أبدعت حين اختزلت – متعبين عيون القارئين بما صوروا وطوّلوا . وشتان ما حرفان أحدهما يريح البصر وآخر يرهقه ، فمم الحرف اللاتيني بالحرف المتعب تنصفه . ولقد بالغ إخواننا الترك في الإسـاءة إلى أنفسهم باستبدالهم الذي هو أدنى بالذي هو خير وتفضيل الشمال على اليمين . وفي مقالتي (الحرف العربي والإفرنجي) في الرسالة[2] الغراء قد نعيت عليهم ضلالهم هـذا ، وبينت في تلك المقالة ما بينت . وإني لموقن اليوم أن القوم سيستيقظون من سنتهم بعد سنين ، وسيندمون وسيرجعون إلى حروف لسانهم عاملين بالقول الحـكيم : « الرجوع إلى الحق خير من التمادي في الباطل » . وفي الأتراك – يا أخا العرب – عقلاء حكماء مخلصون ، فلا تيأس من عودتهم

وأما مقترح تصوير العربية بالحروف اللاتينية الذي أشارت إليه مجلة (المستمع العربي) فهو كمقترح استعمال تيك العامية – ولـكل إقليم عربي عامية بل بلية – والاقتراحان هما من بنات ليل المرء[3] في وقت المرض . والأمم العربية قد أجمعت على أن تـكون في هـذه الدنيا في الـكائنين لا أن تبيد مع البائدين . وإن وعوعة الباطل متلاشية ، ودعوة الحق هي الباقيـة . وكتاب الدهر كتاب العربية يقول :

« . . . فأما الزبدُ فيذهبُ جُفاء ، وأما ما ينفع النـاس فيمكثُ في الأرض . . . »

***

ما أشقى أولئك الإنـكليز المساكين بحروف تهجيهم ! إنهم إذا قصدوا التلفظ بالحرف الذي يحاكي (الذال) أو (الزاي) عندنا اضطروا أن يجلبوا حرفين وهما الحرف T والحرف H ، وإذا أرادوا أن ينطقوا بالحرف الذي يشاكل (الشين) في العربية جلبوا كذلك حرفين الحرف S والحرف H . وقس على ما ذكر ما لم يذكر . إن بلايا الإنـكليز في حرف لغتهم لـكثيرة . عساكين !

أيها الإنـكليز ، اتركوا الحروف اللاتينية أو اللاطيفية – كما يقول الأقدمون وابن خلدون – وخذوا الحروف العربية كما فعلت الأسبان في وقت من الأوقات . إنهم « خطوا اللسانهم الأسباني بالحرف العربي[1] » وما كانوا مخطئين . ولولا سلطان الدين أو الـكنيسة ، لولا القسيسون والرهبان ما انفـكوا يكتبون به حتى يوم الناس هذا « م »

(١) تراجع مقالة العلامة الأستاذ إسماعيل مظهر في الرسالة (٢٠٨) ص٢٢٧ . وأني أقول في هذا المقام منشدا : والمرسلات عرفا أن (مرسلات الأستاذ مع الريح) لتعصف بالباطل عصفا

(٢) الرسالة (٢٣٦) ص (١٣٠٦) السنة (٥)

(٣) بنات ليله : أحلامه

(١) استحدثنا هـذا الخبر من العالم الدكتور باول كراوس الأستاذ في جامعة فؤاد الأول

معهد التمثيل المصري

للأستاذ دريني خشبة

١ — بعد أيام قليلة يُفتتح معهد التمثيل المصري فتتحقق إحدى أمانينا التي لم نيأس من الدعوة لها والكتابة فيها، صادرين في ذلك كله عن إيمان لا يتزعزع بأن التمثيل هو ركن من أقوى الأركان في ثقافة أمة تفهم معنى الثقافة الحقة، وتدرك روح العصر الجديد، فيجب أن تتخذ وسائل هذا العصر الجديد

بعد أيام قليلة تأخذ مصر الحديثة في تعليم عدد متواضع من أبنائها أصول هذا الفن الرفيع ليأخذوا على عواتقهم حين يتخرجون تلك المهمة الخالدة ... مهمة خلق المسرح المصري بكل دعائمه ... من ممثلين ومخرجين ومؤلفين وناقدين، ومن إلى الممثلين والمخرجين والمؤلفين والناقدين من مهندسين ومصورين وإداريين وعمال وصانعي ملابس وعلماء أزياء، وكل من يستطيع أن يضع مشكوراً لبنة في صرح هذا المسرح الذي نريده مسرحاً مستنيراً لا يعرف الشعبذة ويأنف أن يتخذ التهريج وسيلة إلى قلوب الجماهير، مسرحاً يسمو بجمهوره ولا يهوى بنهضتنا إلى خضيض الممجية ... نريد أن يكون لنا مسرح يخدم سمعتنا ويسوّي خُلُقنا ويجدد أدبنا ويهدي الشباب المصري إلى أرفع المُثُل، فيجافي بينهم وبين تلك الرخاوة التي توشك أن تسمم رجولتهم، ويسلك بهم إلى الفضيلة والفكر الحر تلك السبل التي سلكها شباب أوربا في عصر إليزابث ولويس الرابع عشر . . . ونحن حين نريد هذا نشكر الله الذي هيأ للمسرح المصري هؤلاء الرجال الثلاثة الذين يجاهدون من أجله لأنهم يفهمون وسائله وأغراضه على وجهها الصحيح ... فأولهم وكيل وزارة عظيم لا يمنعه مركزه الكبير من أن يتزعم حركة الإصلاح المسرحي في مصر، بل هو يرى في تزعمه هذه الحركة ما يزيد مركزه الكبير رفعة لأنها جهاد شريف في سبيل حركة شريفة لخدمة البلاد وخدمة الفكر واللغة والأدب، فهو لا يرى بأساً في أن يحاضر الناس عن طريق الراديو في تاريخ المسرح المصري، وضرورة خلق الدرامة المصرية وجعلها هدفاً من أهداف الأدب المصري . وهو يشجع الفرق المصرية التي تعمل لرفعة الفن فيلخص للناس رواياتها ويزكي مؤلفي هذه الروايات ويظهرهم على عبقرياتنا المسرحية الجديرة بالعطف ... وثانيهم مراقب للفنون الجميلة قد أشرب قلبه محبة هذه الفنون، فهو يضحي راحته ويسهر الليالي الطوال ليشرف بنفسه على تلك الفرقة الناهضة المتواضعة التي نرجو أن تكون نواة طيبة للمسرح المصري الذي نصبو إليه . وثالثهم بطل من أبطال المسرح القوي مولع بفنه، قد وهبه قلبه ولسانه وبيانه ودمه، قرأناه منذ أكثر من ربع قرن شهدناه ممثلاً وشهدناه مخرجاً وشهدناه عالماً فما شهدنا في أية ناحية من نواحيه ضعفاً يزري به، وها هو ذا يعمل مديراً لهذه الفرقة الناهضة المتواضعة فلا يدعي أنه عاهل لمملكة في الخيال، بل ينادي بأعلى صوته أن مسرحنا يفتقر إلى أشياء كثيرة وأن لا بد من إدراك هذه الأشياء الكثيرة أو إدراك بعضها ليكون لمصر الحديثة الناهضة مسرحها ولتكون لهذا المسرح شخصيته ... هؤلاء الأبطال الثلاثة هم الجنود الأوفياء الذين تدور حولهم اليوم آمالنا في خلق مسرحنا المصري، عن طريق هذا المعهد الذي هو آية من آيات الإصلاح التي تنشط اليوم في حياتنا العامة

ولن تمر فرصة إنشاء هذا المعهد، أو إعادة إنشائه، دون أن نسجل هذه الملاحظة الجديرة بالالتفات، فما كاد الإعلان عنه يذاع في الصحف حتى توالت عليه طلبات الالتحاق، ولم تزل تتوالى حتى زادت على الألف ... وأكثر من نصف هذه الطلبات من حملة الشهادات الراقية، ومن بينها عدد كبير من حملة الشهادات العالية ... وقد تقدمت أكثر من ستين فتاة من أرقى الأسر المصرية للالتحاق بالمعهد .

٣ — ولكن المعهد بطبيعة الحال لن يتسع لهذا العدد الضخم، والقائمون بالأمر فيه لا يريدون قبول أكثر من أربعين طالباً وعشرين طالبة، وهو عدد نستقله على المعهد

الناشيء الذى نطمع أن يضطلع بخلق نهضة تمثيلية فى مصر وفى الأقطار العربية تكون سبيلاً إلى تجديد ناحية مظلمة فى الأدب العربى المفتقر إلى الأدب المسرحى . لهذا نرى لزاماً علينا أن نشغب على القائمين بأمر المعهد ، وأن نصيح بملء قوتنا أن اقبلوا مائة أو مائتين ليكونوا طلاباً أصليين ، واسمحوا لثلثمائة أو أربعمائة ليكونوا طلاباً منتسبين ، واشرطوا عليهم أن يحضروا نسبة معينة من الحصص لا يصح أن يتقدموا إلى الامتحان النهائى إن لم يحضروها ؛ فإذا احتججتم بضيق المكان وبقلة المدرسين الصالحين فلا ضير أن تستنجدوا بحضرتى صاحب المعالى وزير الشئون ليهيىء لكم المكان الفسيح الصالح ، ووزير المعارف ليسر لكم المعلمين الصالحين المقتدرين ... وليذكر صديق الأستاذ مدير المعهد أن له زميلين قديرين تخرجا مثله فى أوربا ، وأنهما يستطيعان مشاركته فى تعليم الفنون المسرحية بأنواعها وبذلك يسهلان عليه دروس الإلقاء وما إليها ... أما الدروس الأخرى فحسبها المحاضرات التى تتسع لمئات الطلاب ، أصليين ومنتسبين وزائرين !

٤ — وليذكر القائمون بأمر المعهد أنهم أملنا الذى نرجو ألا يخيب فى خلق المسرح المصرى ، وليذكروا أننا لا ننشىء المعهد لإمداد فرقة واحدة أو فرقتين اثنتين بالممثل الصالح والمخرج الصالح والناقد الصالح والمؤلف الصالح وغير هؤلاء من المسرحيين الصالحين . . . كلا ، كلا . . . إننا نريد فرقاً كثيرة إقليمية ومدرسية غير فرقة العاصمة ... لقد أنشأت معظم البلديات المصرية دوراً فخمة للتمثيل ، فواجبكم أنتم أن تعمروها بالفرق التى تبعث فيها الحياة ... واذكروا تلك الحرب التى كانت تنشب بين فرق لندن التمثيلية وفرق الأقاليم ، أيها يكون لها الشرف فى النهوض بالمسرح الإنجليزى ، وما كانت تبذله مسارح لندن من العون للمسارح الإقليمية مما تناولناه فى عشرات المقالات على صفحات هذه المجلة

٥ — ولا بد من التذكير هنا بأن المسرح المصرى لا يحسن النظر إليه باعتباره مورداً من موارد الدولة الاقتصادية ، بل يجب اعتباره منشأة ثقافية لا تستغنى عنها نهضتنا ، فهو لا يقل قيمة عن مجمع اللغة ودار الكتب والمتحف الزراعى وإحدى كليات الجامعة ، ولهذا وجب على الدولة أن تسخو عليه وأن تدر له فى ميزانيتها كل ما هو خليق به من مال . . . وخليق بنا ألا نقدر نجاحه بمقدار إقبال الطبقات على شهود رواياته ، فقد فسد مزاج كثير من هـذه الطبقات بسبب عوامل شتى تسربت إليها عن طريق السينما وعن طريق التمثيل الوضيع الذى راجت سوقه بينها مع الأسف الشديد . . . ولهذا لم نر بدا من التذكير بأنه لا يحسن النظر إلى المسرح الذى سوف ننشئه باعتباره مورداً اقتصادياً . ورأيى أن يكون شهود رواياته فى أول أمره بالمجان ، ورأيى أن تتنقل فرقه فى المدارس الثانوية والعالية لتمثل بالمجان أمام الطلبة وأمام الأهالى — على أساس الدعوة المحدودة — كى نطب لهذا المزاج السقيم الذى أمرضته السينما الوضيعة والتمثيل الوضيع .

٦ — ويجب أن تواكب الدراسة فى المعهد دراسات فى مدرسة الفنون الجميلة وفى معهد الموسيقا الشرقى ، فينشأ فى مدرسة الفنون الجميـلة قسم خاص لتصوير المناظر المسرحية ولهندسة المسرح ، على أن يدرس فى هذا القسم علم تاريخ الأزياء والإضاءة المسرحية ... أما فى معهد الموسيقا الشرقية فتنشأ مادة خاصة بالموسيقا المسرحية ، على أن يتولى تدريسها الإخصائيون المصريون ممن درسوا الموسيقا الأوربية وثقفوها علماً وعملاً

٧ — هذا . . . ولا ينبغي أن نختم هذه الكلمة دون أن نرجو الحكومة أن تعمل شيئاً لضمان مستقبل رجال المسرح على نحو ما أصلحت به حال المعلمين والمحامين ومستقبلهم ، فالمسرحيون بطبيعة حياتهم الفنية قوم مسرفون يبسطون أيديهم ولا يستطيعون أن يغلوها ، وقل منهم من يستطيع أن يدخر لغده المظلم الباكى ، قرشاً من يومه المشرق الضاحك ، وتيسير العيش لهذه الطائفة المجاهدة هو تيسير لقيام المسرح المصرى على أسس قوية قويمة ، ثم هو واجب على الدولة لا يسعها إلا أن تقوم به فى صدق وإخلاص .

دريني خشبة

الحرف اللاتيني والعربية

للأستاذ محمود محمد شاكر

ربَّ رجلٍ واسع العلم ، بحرٍ لا يزاحم ، وهو على ذلك قصير العقل مضلَّل الناية ، وإنما يعرض له ذلك من قِبَل جُرأته على ما ليس له فيه خبرة ، ثم تهوُّره من غير روية ولا تدبر ، ثم إصرارُه إصرار الكبرياء التي تأبى أن تعقل . وإن أحدنا ليقدمُ على ما يُحسن ، وعلى الذى يعلم أنه به مضطلع ، ثم يرى بعد التدبر أنه أسقط من حسابه أشياء ، كان العقل يوجبُ عليه فيها أن يتثبت ، فإذا هو يعود إلى ما أقدمَ عليه فينقضه نقض الغَـزْل .

ومن آفة العلم فى فن من فنونه ، أن يحملَ صاحبه على أن ينظر إلى رأيه نظرة المعجب المتنزِّه ، ثم لا يلبثُ أن يفسده طولُ التمادى فى إعجابه بمـا يحسنُ من العلم ، حتى يقذفه إلى اجتلاب الرأى فيما لا يُحسِن ، ثم لا تزال تغريه عادة الإعجاب بنفسه حتى ينزل ما لا يحسن منزلة ما يحسن ، ثم يُصرّ ثم يغالى ثم يعتسَّف ثم يستكبر . . . ثم إذا هو عند الناس قصيرُ الرأى والعقل على فضله وعلمه .

فمن ذلك أنى قرأت فى عدد مجلة « المصور » ١٠١٥ بتاريخ ٢٩ ربيع الأول سنة ١٣٦٣ حديثاً لصاحب المعالى عبد العزيز فهمى باشا عن « الإسلام والحروف العربية » فرأيته يفتتح حديثه بهذه الـكلمة ، إذ يقول لسائله :

« إنى لا أعنِّى نفسى ألبتة بالاطلاع على ما قد يقال من هذا الهراء الذي هو أهونُ علىَّ من الغبار الذى يمس ردائى وحذائى ، فما بالك أنت تهتم بما لا أكترث له ؟ »

وعبد العزيز فهمى رجل كنا نعرفه بالجد والحرص والفقه وطول الباع فى القانون ، وكنا نظنه رجلاً محكم العقل من جميع نواحيه ، لا يتدهور إلى ما ليس له به عهد ، ولا يرى بنفسه فى غمرات الرأى إلا على بصيرة وهدى . فلما قال ما قال عن الحروف العربية فى المجمع ، ونشرت الصحف قوله ورأيه ، قلنا : عسى أن يستفيق الرجل ويعودَ إلى سالفٍ ما عهـد فيه من الحـكمة والمنطق ، وأن يكون ما قال خالصاً لخدمة العربية ، فإن يكن فى رأيه شيء من الصواب فسيحقق الجدل الذى يدور بينه وبين الناس فضيلة رأيه على الآراء ، وإن يكن أخطأ فهو خليق أن يرجع إلى صواب الناس غير معاند ولا لجوج

كان هـذا ظننا فيه ، فلما قرأت فاتحة حديثه التى رويتها قبل ، علمتُ أن الرجل لن يستفيق ، ولن يعودَ ، ولن يعقلَ ما يقول الناس — وما ظنك برجل من رجال القضاء — رجلٍ مارس العقلَ والفهم وتقليب الرأى ، والتثبت من الحجج المتضاربة الموهمة ، والحرصَ على أدق الصغائر لا تخدَعُه عن عدله وإنصافه ؟ ما ظنك برجل هذه صفته يزعم أنه لا يطَّلع ، بل لا يعنِّى نفسه بأن يطلع على آراء خصمه ! ثم ما ذا ؟ ثم ترى هذا القاضى العادل ، بعد أن شهد على نفسه وأقر أنه « لا يعنِّى نفسه ألبتة بالاطلاع على ما قد يقال » ، يصف هـذا الذى لم يطلع عليه ولم يقرأه ولم يتعب فيه ، بأنه « هراء » !؟ فمن أين علم ؟ وكيف حكم على شيء لم يقرأه ؟ ثم يزيد فيقول إن هـذا الهراء الذى لم يقرأه ، أهون عليه من الغبار الذى يمس رداءه وحذاءه ! ثم يبالغ فيعنف سائله ويتعجب له ويسخر منه ، ويقول له : ما بالك أنت تهتم بما لا أكترث له ؟

وهـذا التسلسل العجيب الذى كنا لا نظنه مما ترضى عنه بصيرة رجل مفـكر ، فضلاً عن قاض حريص ، فضلاً عن رأس من رءوس القانون ، فضلاً عن نابغة من نوابغ مصر ، قد كان ، ورضى عنه عبد العزيز فهمى باشا ، وجعله حجته ومنطقه فى حومة الرأى والجدال . ولعلَّ الغضبَ هو الذى احتمله حتى أضـلَّه عن مواطىء حجته ، ثم تركه يتضرَّبُ فى كلامه ، حتى اقترف من اللفظ والمنطق ما لا يليق به

ونحن سنرضى أن نـكونَ فى الغبار الذى يمسُّ رداء الباشا ، وفى الغبار الذى يمس حذاءه ! ونسأل الله أن يجعله بركة للناس وخيراً ، وأن يسبغ عليه من نعمه ما هو له أهل ، وأن يسدد خطاه حيث ذهب ، فحيثما اهتدى الباشا كنا من الغبار الذى يهتدى بهدى حذائه ! وسواء علينا بعد ذلك أقرأ هـذا الهراء أم لم يقرأه !

نحن نسلم للأسـتاذ الجليل بما يقول عن صعوبة الحرف العربى المـكتوب ، وبأنه يعوق القراءة ، وأنه يجعل العربية أبعد متناولاً عن عامة الناس ، نسلم له بهذا ، ثم ننظر كيف يكون الرأى الذى اعتسفه مظنة للتسهيل ، ومدعاة لنشر العربية !

وكيف يكون هو الذى يخرج الحرف العربى الغامض إلى البيان والوضوح ، فلا يكون مضلاً ولا معوقاً ، فإنه زعم أن : « ليس لدى المسلمين وغيرهم من أهل البلاد العربيـة وقت فائض يصرفونه فى حل الطلاسم » ! هذا هو محصول رأيه

فما هذا التضليل الذى زعم ؟ لقد قال من قبل إن الذى دفعه إلى هذا الرأى هو تيسير الكتابة العربية ، « لأن حروف هذه اللغة ليس بينها حروف حركات ! وكثيراً ما يحدث فيها التصحيف والتحريف لهذا النقص . فمهما تعلمها الإنسان فلا بد أن يخطىء فى قراءتها ، وقد عالج الأقدمون هذا الشكل الكبير بوضع الشكل ، ولكن هـذا الشكل قد أفلس ، بل كان مجلبة لزيادة التحريف والتصحيف »

ودليل الاضطراب لم يزل يظهر فى هـذا المنطق كما ظهر فى حديث محرر المصور ، وهو سؤال وجواب لا عنت فيهما ، فأول الوهن وأول الفساد فى هذا المنطق أننا رأيناه فى اقتراحه قد أبقى الحروف المعجمة (المنقوطة) ، وقصر ما ادعاه من التضليل والعسر على (حروف الحركات) . وهذا عجب . فالإعجام (النقط) هو فى التصحيف والتحريف بمنزلة الشكل أو أقل منه قليلاً ، فكان لزاماً عليه أن يبحث مسألة الحروف المعجمة ، ويخلص العربية منها ليدرأ عنها التصحيف والتحريف ! ولكنه لم يفعل ، ولم ؟ لا ندرى !

ومع ذلك ، فلنفرض أننا أدخلنا ما سماه (حروف الحركات) فى كلام عربى مكتوب باللاتينية ، ثم لنفرض بعد ذلك أنه قد أجدى وتقى التضليل من هذا الوجه . ولكن يبقى أن ننظر : أينتفى التضليل البتة ، أم هناك نوع آخر من التضليل يجره هذا العمل ؟ وأى التضليلين أهون شأناً ؟ فإذا تساويا بطلت الحجة المرجحة ، وإذا غلب أحدهما كان الانصراف إلى أخفهما ضرراً هو الوجه الذى لا معدل عنه . أليس هذا هو منطق الناس يا صاحب الحروف اللاتينية ، أم تراه ينبغى أن نسير على هدى منطقك ؟!

نخذ إليك مادة من العربية مثل « قام » ، ثم اجعلها فعلاً ، ماضياً ومضارعاً وأمراً ، وألحق به ما يلحقه من الضمائر ، وأدخل عليـه ما يدخله من قبل أوله وآخره مثل « فليقمهنَّ » وفى التثنية والجمع ، والخطاب والغيبة ، ثم أخرج جميع مشتقاته من الأسماء ، وألحق بها ما يلحقها ، وضعها فى حالة الإضافة إلى الاسم الظاهر والضمائر ، فى التثنية والجمع أيضاً ، ثم اجمع الأسماء على اختلاف صور الجموع الممكنة فيها ، ثم افعل ذلك بالمـادة حين يزاد فيها ما يزاد مثل « أقام وقوَّم واستقام » ، وصرّفها فى الوجوه التى ذكرناها ، وتبين حركات الإعراب فى سياق الكلام ، وضع كل ذلك أمامك مكتوباً بالحرف العربى ، ثم بالحرف اللاتينى ذى الحركات التى تجعل الكلمة مرسومة كمنطوقة . ثم انظر إليهما ، فهل تستطيع ، غير معاند ولا لجوج ، أن تميز بين كلة وكلة ، وأن تتبين الشبه بين هذه المتقاربات من مادة واحدة فى اللغة ؟ ونحن قد جربنا على أسلوب صاحب اللاتينية ، فجربنا ذلك بأنفسنا فما اهتدينا ولا أدركنا ، وصارت الكلمة الواحدة التى لا تخطئهـا العين فى العربية ، ولا تخطىء الشبه بينها وبين صواحباتها ، كلمات لا يُدرَى ما هى ! وهذا شىء قائم على الحس والتجربة والعيان[1]

فإذا عرف ، من لا يستكبر عناداً ولجاجاً ، أن ذلك مما يُضِـلّ ويعمى ، نظر فإذا هو يرى أن أول التضليل فى رسم العربية باللاتينية ، أن يضيع على القارئ تبيّن اشتقاق اللفظ الذى يقرؤه ، فإذا عَسُر عليه ذلك صار اللفظ عنده بمنزلة المجهول الذى لا نسب له ، وصار فرضاً عليه أن يعمد إلى رسم المادة الواحدة من اللغة فى جميع صُورها التى تكون فى السياق العربى ، ثم عليه أن يحاول تقريب الشبه بالذاكرة الواعية ، ثم عليه أن يحفظ معانى ذلك كله . فإذا كان هذا شأنه فى المادة الواحدة فما ظنك باللغة كلها ؟ يومئذ تصبح العربية أجهَدُ لطالبها من اللغة الصينية . نعم ، وإذا ضل عن تبين الاشتقاق والتصريف ، فقد ضل عن العربية كلها ، لأنها لم تُبْن إلا عليهما . وهى من هذا الوجه مخالفة لجميع اللغات التى تكتب بالحرف اللاتينى ، لأن الاشتقاق والتصريف يعرضان لها من قبل بناء الكلمة كلها ، حتى تختلف الحركات على كل حرف فى كل بناء مشتق أو مصرَّف ، ثم نزيد على ذلك ما يدخل على الكلمة من جميع ضروب الحروف العاملة وغير العاملة ، ثم عِلل الإعراب والبناء والحذف ... إلى آخر ما يعرفه كل مبتدئ فى العربية

فإذا كان هذا هكذا ، وكان التضليل كائناً فيه ، وكان هذا

(١) لقد تجنبنا أن نرسم الكلام العربى فى هذه المادة ، ووجوه التصريف واللواحق ، لأنها يسيرة على القارئ فهو يستطيع أن يستخرجها جميعاً ويرسمها لنفسه وينظر أى مخرقة يرى !

التضليل واقعاً فى أصول الاشتقاق والتصريف ، الذى يردّ القارئُ إلى أصل المادة اللغوية . وإذا كان الضلال عن أصل المادة ضلالاً عن معناها ، فأى السبيلين أغمض وأضل : سبيل عُسْر القراءة لعدم (حروف الحركات) ، أم سبيل امتناع الفهم لامتناع الاهتداء إلى أصل الاشتقاق ؟ ونحن لا نشك فى أن كل رجل ذى بصيرة حسن المنطق ، سيجد فى هذا وحده من المشقة والعسر ، ما لا يدع اختياراً فى الاعتراف بالضلال المطبق الذى تجلبه الكتابة بالحرف اللاتينى ، وأن التصحيف والتحريف الذى يدخل الحرف العربى أهون بكثير من الاختلال والفساد والضلة والعبث التى يجرها الحرف اللاتينى

وإذن فغاية المشروع الذى انتحله ، أن ييسّر نطق الكلمة المكتوبة فى حال إفرادها ، غير ناظر إلى سهولة الاهتداء إلى الاشتقاق الذى هو أصل العربية ، وأراد أن يأمن الخطأ فى الإعراب ، والتحريف فى ضبط الكلمة ، فنسى كل شىء ، ولم ينظر ماذا يجلب مشروعه من التضليل والتشويه والتعسير والاستحالة ، والغموض الأعمى الذى لا يهدى إلى شىء فى هذه اللغة العربية ! وهذا وحده عجب أى عجب

هذه واحدة ، ثم زعم الباشا أن الحروف العربية تعوق القراءة ، فهما تعلمها الإنسان فلا بد أن يخطىء ! وأن هذا المشكل قد عالجه الأقدمون بوضع الشكل ، ولكن هذا الشكل قد أفلس ، بل كان مجلبة لزيادة التحريف والتصحيف !

هما علتان ، ثم علتان ملفقتان قد غلغل فيهما البطلان ، وتخرّمتهما المغالطة فى الصميم وفى المنطق . ونحن لن نناقش اليوم هاتين العلتين إلا من وجه واحد يظهر به فسادهما ، أما سائر الوجوه فندعها حتى يحين وقتها ومكانها من الكلام . فالخطأ عندنا لا يعود إلى صعوبة الحرف المكتوب ، وإنما يعود إلى القارىء المخطىء نفسه ، وهذا هو وضع القضية عندنا : إذا كان المتكلم حين يتكلم يستطيع أن يسوق كلامه على العربية الصحيحة غير مخطىء ، فمحال أن يخطىء فيها عند القراءة مهما اختلف الخط عليه سهولة وصعوبة ، لأن النطق سابق للقراءة ، فالذى لا يخطىءُ وهو يتكلم (أى كأنه يقرأ من حرف غير مكتوب) ، لا يتأتى له أن يخطىءَ وهو يقرأ حرفاً مكتوباً ظاهراً مميزاً ببعض الدلالات . وإذا عولج بعض العسر بوضع الشكل على الحروف ، فالخطأ عندئذ أشد استحالة لوجود دلالات صريحة لا تقل فى إفصاحها وبيانها عن حروف الحركات التى أرادها صاحب هذا المشروع اللاتينى ، ومن ثم فهى ليست مجلبة لزيادة التصحيف والتحريف كما زعم . أما قوله ، فى خلال ذلك ، إن الشكل قد أفلس ، فهذا حكم باطل فى قضية باطلة بطبيعتها ، وما دامت القضية فى أصلها لا تصح على الوضع الذى لفقه ، فالحكم نفسه لم يدخل إلا زيادة فى التلفيق . لقد نسى صاحب الحروف اللاتينية أن الإعراب فى العربية شىء يختلف اختلافاً كبيراً عن سائر اللغات المكتوبة بالحروف اللاتينية ، وأن الخطأ فيه لن يكون من قبل الكتابة سهلة أو صعبة ، بل هو راجع إلى المتكلم أو القارىءُ من قبل الضعف والقوة والعلم والجهل ليس غير

وأما ثالثة الأثافى ، كما يقولون ، فهو زعمه أن « ليس لدى المسلمين ، وغيرهم من أهل البلاد العربية ، وقت فائض يصرفونه فى حل الطلاسم » ! فأى طلاسم ؟ أهى الطلاسم التى تدخل على كل حرف من الحروف فى المادة الواحدة ، ألواناً من الحركات تكتب بين كل حرف وحرف ، وفى أواخر كل كلمة ، وتقف فواصل متباينات بين حروف مادة واحدة من لغة بنيت على الاشتقاق وعلى الاختصار ، وجاء فيها الجموع المختلفة ، والصفات والأبنية ذوات المعانى ، والبناء للمجهول ، وأحكامُ المعتلّ فى التصريف ، واختلاف المصادر وأسماء الزمان والآلات ، والترخيم والنسبة ، والإضافة والتقاء الساكنين ، وأحكام الإعلال والإبدال والإدغام ، إلى آخر هذا كله ، مما يغيّر الأبنية والأطراف والأوساط ، هذا إلى كثير من أحكام النحو الأخرى التى تفزع من يتتبعها إذا هو أراد جدال صاحب الحرف اللاتينى ! أهذه هى الطلاسم أم تلك ؟ وأيهما أفسد لوقت المسلمين وغيرهم من أهل البلاد العربية ؟ بل أيهما أضرَى وأشنع فتكاً وشراسة ؟ بل أيهما الذى يغول العقل لا الوقت وحده !

ولكنها فتنة ! فتنة اغتر بها شيخ صالح ، فاستغلها من لا يرى للعربية حقاً ولا حُرْمة ، ولولا بعض حسن الظن لقلنا :

لا تأمنوا قوماً يَشبُّ صبيُّهم بين القوابل بالعداوة يُنشعُ
فضلَت عداوتهم على أحلامهم وأبت ضباب صدورهم لا تنزع
إن الذين ترونهم إخوانكم يشفى غليل صدورهم أن تصرعوا

وأى مصرع يا صاحب المعالى ! علمك الله الخير وهداك إليه وسددك وحفظك .

محمود محمد شاكر

كتاب نفيس

آراء وأحاديث
فى التربية والتعليم
للأستاذ ساطع الحصرى
بقلم الأستاذ محمد عبد الغنى حسن

مؤلف هـذا الكتاب ليس غريباً عن أسرة « الرسالة » ، ولا غريباً عن رجال التفكير والثقافة فى الشرق العربى عامة ، أو فى مصر خاصة ، وهو نفسه لا يعدُّ نفسه غريباً على مصر إذا عالج مسألة من مسائل الفكر أو تناول قضية من قضايا التعليم فيها . فإن نظراته الصائبة فى التربية والتعليم لا تضيق فى حدود وطن واحد ، ولا تتضاءل فى مساحة بقعة واحدة ؛ ولكنها تمتد إلى ما وراء التخوم السياسية فتتسع لسورية والعراق ومصر وغيرها من البلاد العربية

وبهذا الاعتبار يمكن أن يفسر اهتمامه البليغ بأمور التربية والتعليم فى مصر ، ويدفع هو عن نفسه ما قد يرى به من الكلام فى أمور لا تتصل بوطنه ؛ فيقول فى عزة عربية نسجلها له مع الفخر : (وأرجو أن لا يعتبرنى أحد متطفلاً على مصر بهذه الملاحظات ؛ فإنى عربى صميم ، أدين بدين العروبة بكل جوانحى ، وأهتم بمصر بقدر ما أهتم بسورية والعراق) . وهذا دفاع بليغ يقطع الطريق على أمثال من يقولون :

إنما نسكر من أموالنا فسلوا الشرطى ما هذا الغضب!

لأن غضبة الأستاذ الجليل ساطع الحصرى ليست غضبة « الشرطى » ولكنها غضبة المُضرى التى يجب أن يحسب لها حساب ...

ولهذا لا نظن أحداً من الناس فى مصر أو فى غير مصر يضيق صدره بآراء ساطع الحصرى فى التربية والتعليم ، لأنه مخلص فى إبدائها ، ولأنه عربى قبل أن يكون مصرياً ، والعروبة تقتضيه حقوقاً كثيرة ، وخاصة فى هذه الأوقات التى نسمع فيها كثيراً عن الوحدة والاتحاد والتعاون واليقظة العربية والوعى القوى . ولأنه هو نفسه قد أبان فى كتابه نوازع اهتمامه بمصر (لأنها أصبحت القدوة المؤثرة على العالم العربى بأجمعه)

لا نظن أن أحداً من المفكرين والمثقفين والمربين فى مصر يغضب لأن مفكراً عراقياً وسورياً نشر كتاباً نفيساً فى التربية وفيه مقالات حول نظام التعليم فى مصر . لأننا نرى الخبراء يستقدمون إلى بلادنا ، وتتدفق عليهم الأموال ، وتفتح لهم الأبواب ولكن ساطع الحصرى زار مدارس مصر - قادماً لا مستقدماً - فى سنتى ١٩٢١ ، ١٩٣٦ ، وكشفت له الزيارتان عن أمور رأى من الإخلاص للوطن العربى الأول أن لا يكتمها ، ورأى من الخير أن ينشرها

ونحن نرى أن بعض « الزوار » قد ينشرون كلاماً له خبىء أو يذيعون آراء لها خواف . ولكن الأستاذ ساطع واضح المقصد بيِّن الغاية حسن النية . ونرجو أن تكون تلك حاله التى ينطق بها لسان المقال

ليس هذا الكتاب كتاباً « فنياً » فى أصول التدريس وطرق التعليم ، وليس كتاباً « مدرسياً » فى « الدرس » وأجزائه « والمقدمة » وشروطها . « وملخص السبورة » « ووسائل الإيضاح » وما إليها من الموضوعات الجافة التى يحفظها (المعلم الجديد) ويضحك منها المعلم المتمرس أو يبتسم لها . ولو كان كتاباً كذلك ما استحق أن نطيل الوقوف عنده ، وأن وأن نعرضه على القراء عرضاً يحملهم على الاطلاع عليه والظفر به ، لأن فيه نظرات فى التربية والتعليم جمعها المؤلف من هنا ومن هناك . ولا شك أن هذه النظرات وليدة تجارب بلاها المؤلف بنفسه ، وهداه إليها اطلاع وسيع ، وبحث عميق ، ومتابعة لكل جديد من الرأى فى آفاق التربية والتعليم

والقسم الأول من الكتاب فيه مشاهدات وملاحظات فى فى التربية والتعليم . وهذا القسم يجمع إلى صحة الفكرة التربيية طرافة الأسلوب وحسن العرض ، والخلوص من المثال أو المشاهدة

إلى القاعدة التي يقررها . وقد لا تحس وأنت تقرؤه الجفاف الذي يصادفه من يقرأ كتب التربية البحت ، و« الطفل المشاكس » « وإثبات الذات » « والتربية بالثقة » « والحرية » وغيرها نصيب في هذا القسم من الكتاب

أما القسم الثاني فهو محاضرات ومقالات في التربية والتعليم ألقى بعضها في نادي التضامن وبعضها في نادي المعلمين ببغداد . ويمتاز هذا القسم من سابقه بالدراسة الفنية وعرض النظريات التربيبة عَرْض المربي الفنّي لا عَرْض الشاهد المتنقل كما في القسم الأول

وفي هـذا القسم فصل ممتع عن التربية الاجتماعية . وقد نجح المؤلف في محاولة ردّ تربيتنا الاجتماعية أو بالأجدر مشاكلنا الاجتماعية في الشرق العربي إلى تغلب الأثرة Egoisme على الإيثار Altruisme . وإلى أننا لم نتعود التفكير في غيرنا تفكيراً اجتماعياً ، كما أننا لم نتعود العمـل مع غيرنا عملاً مشترياً Collectif

وهذا كله كلام جميل ، وفيه كثير من الحق وكثير من الصدق ، فإن ذلك كله ينقصنا . ولكن ينقصنا شيء آخر لم يشر إليه الأستاذ ساطع ؛ ولكن أوضحه البروفسور كامبانياك الأستاذ بجامعة ليفربول في كتابه النفيس :

Education in Its Relation to the Common Purposes of Humanity.

المطبوع في إنجلترا سنة ١٩٢٥

يقول هذا الأستاذ الإنجليزي في كتابه ص ٣٣ (إذا شاء المواطن أن يتمتع بميزات ، فواجب عليه أن يقبل تلك المزايا بشروط . فما هي الشروط التي يمكن أن يتمتع بها الرجل بمزايا الجماعة ؟ إنهـا شروط يمكن التعبير عنها في سهولة ويسر في جمـلة واحدة : يجب أن يتعلم الرجل أن يفعل ما يُطلب منه ، يجب أن يطيع قواعد الجماعة إذا أراد أن يحتفظ بعضويته فيها)

وهذا التوضيـح يفسر لنا كثيراً ممـا يحدث في مجتمعاتنا ومجامعنا الشرقية . فـكثيرون منا لا يفعلون ما تطلبه قواعد الجماعة ومواضعاتها منهم ؛ كالذين أشار إليهم الأستاذ ساطع في مقصورات أحد المسارح ببغداد حين علا صوتهم وضوضاؤهم ؛ فلما نبههم إلى خطئهم أجابه أحدهم : إننا أحرار ، لا حق لأحد أن يتدخل في أمرنا ...

لقد ردّ الأستاذ الحصري هذا السلوك الشائن إلى أننا لم نتعود العمل مع غيرنا عملاً « مشترياً » وذلك صحيح . وصحيح كذلك أن نرده إلى طبيعة العصيان والتمرد على قواعد الجماعة كما فَسَّره الأستاذ كامبانياك

أما الفصل الذي كتبه الأستاذ الحصري عن « تيارات التربية والتعليم » فهو فصل معنيٌّ به مسهور عليه . وهو يشهد باطلاع المؤلف على اتجاهات التربية الحديثة ومراميها ، والعوامل التي أثرت فيها ؛ والمراحل التي مرت بها . وهنا تظهر طريقة المؤلف في حسن العرض العلمي عرضاً متسلسلاً يدل على الفكر المتسق ... ولقد أشار في خلال هـذا الفصل إلى وجوب تقوية علاقة الطلاب « بالطبيعة » التي طغت عليها حياة « المدن » . إلا أننا نأخذ على الأستاذ ساطع إيجاز الإشارة إلى هذا الموضوع الهام ، وكان المقام يتطلب منه إطالة واهتماماً أكثر . وللبروفسور كامبانياك في كتابه المشار إليه سابقاً فصل رائع « عنوانه العودة إلى الطبيعة »

كما أن الأستاذ « نيومان » عالج هذا الموضوع معالجة علمية في كتابه القيم « فكرة الجامعة » : Idea of a University ص ١٣٣ ، ١٤٣

ومن عبارات كامبانياك الرائعة في ذلك الفصل قوله في صفحة ٩٥ (يمكننا أن نلجأ إلى عالم الطبيعة مرات ومرات ، لأنعاشنا وتطهيرنا وتقويتنا) وقوله : (أن مشروعاً تربيبياً يوجه عقولنا وحواسنا إلى قوى الطبيعة ومختلف مجاليها ، لهو مشروع حكيم الخطة)

أما الفصل الذى عنوانه « تعليم التاريخ » فلنا عليه استدراك ، فالأستاذ ساطع يحتم أن نعيد النظر فى تاريخنا العربى بنزعة تربيوية قومية ، وينادى بأن دروس التاريخ يجب أن ترمى إلى « التربية القومية » قبل كل شىء . وتلك دعوة طيبة تقابل من الأستاذ الحصرى بالقبول الحسن من كل البلاد العربية التى تنشد الوحدة فى عالم اتحدت فيه أمم مختلفة النزعات واللغات ، فكيف بأمم وحدت بينها اللغة والجنس والعادات ؟ إلا أن الهدف من تعليم التاريخ ليس تنمية القومية (قبل كل شىء) . فمن الغبن أن نغمط الأهداف الأخرى ونبخسها قدرها . فقد ينفعنا تعليم التاريخ على وجه صحيح فى إدراك صورة واضحة لمعنى « الخير » للجماعة وأعضائها ؛ وقد ينفعنا تعليم التاريخ العربى على وجه صحيح فى إيقاظنا من سبات عميق طال عليه الأمد ... وقد ينفعنا تعليم التاريخ العربى على وجه صحيح فى تجريد الدين من كل ما علق به من أوشاب القرون وغبار السنين ...

وقد ينفعنا التاريخ فى العمل على تحسين حالتنا الصحية التى أصبحت مرضاً عضالاً وداء قتالاً . فلو اعتنى فى مدارسنا بتدريس تاريخ الأوبئة والحميات والأمراض ، ولو اعتنى بدراسة تاريخ ما اتخذ من وسائل لمقاومة المرض وتحسين الصحة وإنشاء البلديات وكشف الجراثيم ، لاجتمع لأبنائنا ثقافة صحية تقوم إلى تربيتهم القومية

وقد كان ذلك من أغراض تعليم التاريخ فى إنجلترا بناء على الرسالة التى نشرتها الحكومة البريطانية سنة ١٩٣٤ بعنوان : (مطبعة الحكومة الإنجليزية لندن — ص ٦٤)

أما الفصل الممتع الذى كتبه الأستاذ ساطع حول تعليم اللاتينية واليونانية فهو يستحق عليه التهنئة . فقد عرض القضية عرضاً لا يدع فيها مقالاً لقائل . وهو هنا يتكلم دائماً والدليل بين يديه والحجة بيمينه ؛ فيحملك على الاقتناع بكلامه وقد أثار فى نفسى شهوة إلى قراءة « التحقيق البرلمانى الفرنسى » الذى يذكره أستاذنا وصديقنا توحيد السلحدار بك

بقى أن فى الكتاب نسباً يستعملها الأستاذ ساطع (كالفردانية) (والأنوية) نسبة إلى أنا . (والقبمدرسية) نسبة إلى « قبل مدرسى » وهى طريقة فى هذا الكتاب وأطرف منها المصادر التى يستعملها . وهى صحيحة ولكنها لا تستعمل عندنا فى مصر « كالتمديد » « والترفيع » « والاقتياس » بدلاً من المد والترقية والقياس التى نستعملها هنا

* * *

وبعد فإن كتاب الأديب العربى الأستاذ ساطع الحصرى يعد محاولة ناجحة فى عرض الاتجاهات التربيبية عرضاً يرتاح إليه الأديب ، قبل أن يرتاح إليه المربى . وهو من هذه الناحية كان خليقاً بأن يقرأه الأدباء والمفكرون والمثقفون قبل أن يقرأه المربون والمعلمون

وكفاه قيمة أنه ـ فيما نعلم ـ أول كتاب عربى غير مصرى يتناول مسائل التربية والتعليم فى مصر بصراحة وإخلاص يستحقان الشكر والإعجاب .

محمد عبد الغنى حسن

القـــرآن الكريم
فى كتاب النثر الفنى
للأستاذ محمد أحمد الغمراوى

تتمة

شكا الدكتور زكى مبارك فى العدد ٥٥٧ من الرسـالة من أنى كتبت فيه كلمة مؤذية سبقتها كلمات مؤذيات ، وزعم أنى أبحث عن فرصة جديدة تؤيد شكى باتهامه فى إسلامه ، وأن الباعث على محاربتى إياه ليس هو الدين ، ولـكن غرامى بأن يقرن اسمى باسم الدكتور زكى مبارك

وتأذى الدكتور زكى مبارك بمـا كتبت ليس لى فيه من فضل ، فالفضل ـ أو الذنب ـ فيه راجع كله إلى الدكتور الفضال . فهو الذى لا يفتأ يتعرض للدين بما لا يمكن أن يقره عليه عقل ولا دين ، وبما يخالف الـكتاب والسنة والإجماع عند المسلمين . يتعرض لا لجزئية من الجزئيات يجوز فيها الخلاف ، ولـكن للأصــول التى يقوم الدين بقيامها ، وينهدم بانهدامها ، كأصل إعجاز القرآن ، وأن القرآن كتاب الله لا كتاب محمـد ابن عبد الله

والخصومة التى بيننا ليس منشؤها ما يعتقد الدكتور زكى مبارك ، ولـكن ما يعلن الدكتور ويدعو إليه . فاعتقاده ودينه أمر بينه وبين ربه ، أما ما يعلن ويكتب فأمر بينه وبين الناس . هو حر فيما يرى ويفكر وفيما يعتقد ما اقتصر ذلك على ذات نفسه ، أو ظل سراً بينه وبين خلصائه . لـكنه يفقد تلك الحرية فى اللحظة التى يحاول فيها أن يتخذ من الأدب وسيلة لبث آرائه ومعتقداته بين الناس . إنه فى تلك اللحظة يصطدم بمـا يعتقد الناس ، إذا كان ما يعتقد يخالف ما يعتقدون ، خصوصاً إذا كان ما يعتقدونه هو الحق وما يدعو إليه هو الباطل . أفيعجب الدكتور عندئذ أن يرتد عليه الاصطدام فيتأذى به كما آذى به الناس ؟ أم هو يظن أن الحرية له فى الهجوم ، وأن ليس لغيره حرية فى الدفاع ؟

وللدكتور فى الخصام حيل كتلك التى تـكون فى القتال ، منها أن يلقى إلى خصومه أقوالاً يرجو أن يشغلهم بها وأن يشكك الناس فيهم . ولا بأس من أن ننخدع له هذه المرة فننظر فيما أتى

يقول إننا نحاربه لا للدين ، ولـكن ليكون لاسمنا ذكر مع اسمه الـكريم . ولو وجد الدكتور شيئاً غير هــذا يقوله لقاله ، ولـكنه نظر فوجد أننا لا نتخذ الأدب صناعة فيأتينا من ناحية المنافسة ، ولا يجوز عنده أن تـكون محاربتنا له لوجه الله ، فلم يبق إلا أن يقول أننا نلتمس الشهرة عن طريق التعرض له والطعن فيه

إن كان ذلك كذلك ، فلماذا تركنا الدكتور كل هــذه السنين يبدئ ويعيد فى الأخلاق وغير الأخلاق مما يتصل بالدين اتصالاً وثيقاً أو غير وثيق ، من غير أن نتعرض له إلا مرتين يفصلهما خمس سـنين : الأولى حين ختم كلمة له فى نعيم الجنة بذلك الدعاء الماجن : « اشغلنى عنك يا رباه بأطايب نعيم الجنة ، فإن نظرى لا يقوى على نور وجهك الوهاج » . والثانية حين كتب مقاله : « أعوذ برب الفلق من شر ما خلق » الذى أنـكره ابتداء ، حين حوسب على بعض ما فيه ، ثم أقر به لمـا أيقن أن لن يصدقه أحد فى الإنكار ، كالرجل الذى يتبرأ من ولده الجانى وينكره ثم يستلحقه إذا وجد عار الإنكار أكبر من عار الإقرار ... مناسبتان اثنتان بينهما خمس سنوات لم نتعرض للدكتور إلا فيهما فى عمر الدكتور المملوء بما يؤاخذ عليه فى الأدب والأخلاق والدين . فهل لم يكن بنا حاجة إلى الشهرة طوال تلك الأعوام لنلتمس التحليق فى جوها على جناحه المتين ؟

وقد وقع الرجل على حيلة أخذها عن صديقه الشيطان[١] هى أن يسمى المسميات ضد أسمائها ليدخل على بعض النفوس عن طريق الإيحاء . فستر الإنسان جسمه بالثياب رياء واعوجاج فى الضمير[٢] ؛ والدعوة إلى تعريته دعوة إلى الحيـاة[٣] ؛ واحتضان الفتاة للفتى هو مثال الفرح النبيل[٤] ؛ وهجوم الفتاة على الفتى طاعة لغريزة كريمة[٥] ؛ وانتهاب الجمال هو فى ذاته شـكران لواهب الجمال[٦] ؛ والشيطان مخلوق شريف[٧] ؛

(١) العدد ٢٣٠ من الرسالة صفحة ١٩٣٤
(٢) و (٣) العدد ٥٢٩ من الرسالة صفحة ٦٦٨
(٤) و (٥) العدد ٤٤٦ من الرسالة صفحة ٦٢
(٦) العدد ٤٥٥ من الرسالة صفحة ٣٤٦
(٧) العدد ٢٠٧ من الرسالة صفحة ٩٤٤

والأديب الحق يستبيح فى عتاب الأقدار ما لا يباح[1] ؛ وبعض الكفر إيمان ولكن أكثر الناس لا يفقهون[2] ؛ إلى آخر ما هنالك

ولست فى شيء مما كتبت أو أكتب عن هذا الرجل متجنياً عليه أو مبالغاً ، فتلك المعانى التى نسبتها إليه آنفاً ليست من عندى ولكن من عنده . هى بعض عباراته تشهد عليه ، وبعض بضاعته ترد إليه

وحيلة أخرى لهذا الرجل أن يلق إليك المعنى الذى يعرف أنك تأباه مقروناً بمعنى يعرف أنك ترضاه ليسهل عليك بهذا قبول ذاك ، أو على الأقل ليوقفك موقف المرتاب . فتراه مثلاً يقول لك : « انتفع الصوفية بسماحة الإسلام ، وهو دين يأبى أن يكون بين المسلم وربه وسيط ، فقرروا أنهم أرفع من الأنبياء . وهذا كفر بظاهر القول ، ولكنه فى الجوهر غاية الإيمان »[3]

فانظر كيف رتب على المعنى الذى يعرف أنك ترضاه معنى يعرف أنه لو ألقاه إليك مجرداً لأبيت عليه ، ولنبذت إليه . والمعنى الذى ألقاه معنى ذو نتوء كرأس إبليس . ظاهره أن الصوفية يضعون أنفسهم فوق مرتبة النبوة ، لأنهم أعرف بالله وأرعى له من الأنبياء ، وباطنه أن ليس بهم ولا بك إذا ارتقيت مثلهم إلى الأنبياء حاجة ، وإلا كان بينك وبين الله وسطاء ، والإسلام يأبى أن يكون بين المسلم وربه وسيط ؛ فتلك هى فى رأى زكى مبارك سماحة الإسلام وبها انتفع الصوفية ! والرجل يكذب فى الحالين على الصوفية وعلى الإسلام . فلا الإسلام يهدم نفسه بسماحة حمقاء كالتى نسبها إليه زكى مبارك ، ولا الصوفية بلغ بهم الغرور أن يروا أنفسهم فوق الأنبياء

ومثل آخر من نفس الباب قوله[4] : (وفى طلب السلامة من أذى السفهاء . قال الرسول : « نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة » ... والعدل يوجب أن يكون ما يترك الأنبياء ميراثاً حلالاً لأبنائهم ، ولكن الحرص على قطع ألسنة المتزيدين هو الذى أوجب أن يحرم الأنبياء أبناءهم من ذلك الميراث . وذلك ظلم جميل !) هكذا يقول زكى مبارك ، وهكذا يقدم لقرائه فى هذا الكلام قنبلة ملفوفة تكفى لنسف أى إيمان

دعك مما فى كلامه هذا من مثل « جميل » و « رسول » (وأنبياء) و « قطع ألسنة المتزيدين » وتأمل ما وراء ذلك تجده يريد أن يدخل فى نفسك أن ترك الأنبياء أموالهم كلها صدقة شيء فعلوه من عند أنفسهم لا بأمر ربهم ، وأنهم بذلك خالفوا العدل ووقعوا فى أقبح الظلم ، ظلم الأبناء . ومن أجل ماذا ؟ من أجل السلامة من أذى السفهاء وقطع ألسنة المتزيدين ، أى من خوف الناس ! وماذا يبقى من مبدأ عصمة الأنبياء بعد هذا ؟ لا شيء عند من يقبل من زكى مبارك هذا الكلام ، وعلى دينه العفاء !

وإذا رجعت إلى حديث الرسول صلوات الله عليه ـ وزكى مبارك حرف المعنى ولم يحرف اللفظ ـ تجده يحتوى على الحجة المبطلة لكل ما ذهب زكى مبارك إليه ، وهى قول الرسول (نحن معاشر الأنبياء لا نورث) بصيغة التعميم لا بصيغة التخصيص . فلو صدق ذلك على بعض الأنبياء دون بعض لما كان من سنن النبوة ، ولكن من رأى ذلك البعض ، ولجاز ولو من بعيد ما زعمه زكى مبارك . أما وهو صادق على الأنبياء أجمعين فلا بد أن يكونوا فعلوه عن أمر الله لا أمر أنفسهم ، لاطراده فيهم على اختلاف الأزمان — والاطراد على اختلاف الزمن هو طابع الفطرة التى هي دين الله — ثم لاستحالة معرفة الرسول صلوات الله عليه أن الأنبياء أجمعين كانوا يفعلون ذلك إلا بإخبار وتوقيف من الله

لكن زكى مبارك لا يلتفت إلى مثل هذه الدلالات فى كلام النبوة ، لأنه مشغول بترويج ما له من مذهب ورأى ؛ يتلطف للدخول به على الناس حيناً ، ويتقحم به عليهم حيناً ؛ تارة يلمح وتارة يصرح ، وطوراً يجمع لهم الأضداد ويرميهم بالمتناقضات تلهياً وتشفياً ، كأن بينه وبين الناس ثأراً لا يشفى نفسه منه إلا أن يبلبل منهم الفكر[1] ويزلزل منهم العقيدة ليكون أدبه قوة تمثل الخصوم وتزلزل الزمان[2]

محمد أحمد الغمراوى

(١) و (٢) العدد ٣٥٥ من الرسالة صفحة ٧٠٥
(٣) العدد ٤٩٣ من الرسالة صفحة ١١٣٨
(٤) العدد ٤٠٦ من الرسالة صفحة ٦٢٨

(١) العدد ٣٨٢ صفحة ١٦٢١
(٢) « ٤٩٨ « ٤٥

من نداء القلب

الإنـــاء...

للأستاذ إلياس أبو شبكة

أصدر الشاعر اللبناني المرحوم الأستاذ إلياس أبو شبكة ديواناً لطيف الحجم سماه «نداء القلب» ، وهو – ما عدا القصيدة الافتتاحية – مجموعة من الشعر الغنائي الرقيق ؛ يقرأه الخلي في ساعة إذا شاء ، ولكن الرجل ذا القلب الشاعر لا يستطيع أن يفرغ منه ولا أن ينفصل عنه ؛ فهو في كل بيت من أبياته لا ينفك بين ذكرى تعاوده ، أو أمل يراوده ، أو شعور لذيذ يحس انبثاقه فيه ، أو وجد أليم يجد أبلغ العبارة عنه . وكان الأشبه بنا قلنا أن نسمعك لحناً من ألحان هذا الغزل المشبوب ، لهذا الشاعر الموهوب ، ولكننا آثرنا أن نسمعك القصيدة الأولى منه ، لأنها أبلغ ما يصور حال الأدب الرقيع ، في هذا الزمن الرقيع

عصرت فؤادى فى إناء من الهـــــوى
وأدنيتـــــهُ من مرشـــــف الفقراء
فقالوا : « خمور ما تبرد غـــــلة »
فتمتمتُ : « واهــــاً أكبد الشعراء !
أينكر حـــتى البؤس ما فيك من غنى
وأىّ غـــــذاء أنت للبؤساء ؟! »

* * *

وذوّبتُ قلبى فى إناء من الهــــوى
وأدنيتــــه من مرشــــف الرؤساء
وقلت لهم : « هذا هو العدل فاشربوا
لعلكمُ تصــــنون للضعفــــاء ! »
فـالوا جميعـــاً عن إنائى وغمغموا :
« إناؤك محظـــــور على الزعماء »

* * *

وذوّبت قلبى فى إناء من الهـــوى
وأدنيتـــه من مرشـــف السجناء
وقلت لهم : « هـــذا عزاء قلوبكم
فللأبرياء التاعسين دمائى »
فقالوا : « دماء ما تحـــلّ قيودنا
فهـــاتِ قوانيناً لغـــير قضاء »

* * *

وذوبت قلبى فى إناء من الهـــوى
وأدنيتـــه من مرشـــف الحكماء
وقلت لهم : « هـذا هو النور فاشربوا
فآراؤكم فى حاجـــة لضيـــاء »
فقالوا ، وقد هزوا الرؤوس شمـاتةً :
« ضياؤك هـــذا خدعة الجهلاء »

* * *

وذوبت قلبى فى إناء من الهـــوى
وأدنيتـــه من مرشـــف الأمراء
وقلت لهم : « هذا هو النبل فاشربوا
وطـــوفوا بأقداحى على النبـــلاء »
فقالوا : « أتحقـــير لطغراء جَـــدّنا
وما تنسل الأصـــلاب من شرفاء ؟ »

* * *

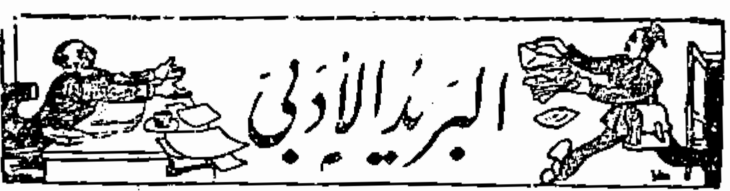
وذوبت قلـــبي فى إناء من الهـــوى
وأدنيتـــه من مرشـــف الشعراء
وقلت لهم : « هذا هو الحب فاشربوا
فأزياؤكم مرهـــونة لفنـــاء
إذا الحب لم يضرم لهيب قلوبكم
بَلِيتم ولو جئتم بألف رداء »

* * *

وما زلت فى الدنيا أطـــوف بخمرتى
وحـــولىَ شـــعبٌ هازئٌ بوفائى
إلى أن دهانى اليأس فاخـــترت عزلة
أفتش فيهـــا عن حُطـــام رجائى
وذوبت خمـــرى فى إناء من الهـــوى
لأشربهـــا ممزوجـــةً ببكائى

* * *

فشاهدت قلـــبي فىَ إنائىَ ضاحكاً
به دمعـــة عذراء فى خُيَـــلاء
فأدنيته من مرشـــفى وشربته
وما زال ماء الحبّ مـــلء إنائى



٥ — الشعر الجديد

وضعنا أمام القارىء فى كلمتنا السابقة[1] وصفاً إجمالياً لمنظومة من (الشعر الجديد) حاولنا أن نكشف به عن الطابع العام لهذا الشعر. فإذا هو – كما يمكن أن يتخيل القارىء – مجموعة من التفكك والاضطراب، والبرقشة[2] والإغراب. ولولا خشية الإملال لوصفنا غيرها وغيرها، فلدينا من هذا الشعر أكداس. وقد وعدنا أن نزيد فى هذا الكشف فى أثناء حديثنا كلما عنت مناسبة. ونجد الآن الفرصة سانحة للاشارة إلى مظهر آخر من مظاهره البارزة: ذلك هو الإسراف فى بثّ المجاز والاستعارة فى تضاعيفه، وتحميل الكلام منهما أحمالاً ثقيلة، والغلو فى ذلك غلوّا شديداً. ولا تحسبَنّ أن هـذا عن بَصَر بهما، أو علم بأصولهما، أو إحاطة بأساليبهما، فذلك مطلب جِدّ عسير عليهم؛ فقد أزحنا بعض الستار عن ماهيتهم، وأبنّا شيئاً من طرائق تزييفهم، ووسائل تمويههم. وإنما الذى يصنعون صُور منهما افتُعِلت افتعالاً، وصيغت على أمثلة صاخبة متراكبة، وصُبَّت فى قوالب غثة، مما نراه فى الأدب الرخيص الشائع الآن بين العامة وأشباه العامة

ويضطرنى هذا المقام أن أقول – والأسف يملأ نفسى – إن بلية هذا (الأدب) ليست مقصورة على هؤلاء الشعراء وغيرهم من صغار الكتاب، بل تجاوزتهم إلى الطلاب ممن لم يُزايلوا بعد مقاعد الدراسة الثانوية. فعملت فيهم عمل السوس، وأفسدت من سلائقهم، وشلت من ملكاتهم، ولوثت من نفوسهم.

وطالما جهرت – بقلمى وبلسانى – بأن هـذا الضعف الملحوظ فى مُنشآت الطلبة الآن إنما مَبعثه قلة ما يقرءون من مُستجاد الكلام وشريف الأفكار، ثم ذيوع هـذا (الأدب) بينهم، وتهافتهم عليه؛ لما به من مغريات الشباب وعوامل استمالته ومخادعته. (والفتى آلِف لما يستعيدُ). فضع ما شئت من مادة بين يدى الحدث، وخذه بها، وأدمه عليها، يُطبع عليها لا محالة.

ولقد كنت أرى ممن خالطتهم من الإنجليز فى بلادهم، أن الوالدَيْن يحرصان كل الحرص على انتقاء ما يطالعه الأبناء فى أوقات فراغهم، ويحولان بينهم وبين ما يمس أخلاقهم، أو يضعف لغتهم، ويبذلان فى ذلك أعظم الجهد

فللولد هناك مكتبة، وللبنت مكتبتها، حافلة بما يقوّى العقل، ويقوّم الخلق، ويغذى اللسان.

والنشء من أبنائنا محرومون كل هذا، مهملون إهمالاً يكاد يكون شاملاً. وقد انصرف أدباؤنا وشعراؤنا عنهم، وأمعنوا فى نسيانهم، وكتبوا وألفوا للكبار وحدهم؛ ألهم إلا محاولات لا تنقع غُلة، ولا تبل صدى

أعود – وقد استطردت مرغماً – إلى ما كنت بسبيله من الكلام فى المجاز والاستعارة، فأقول: إن الأساليب العربية النقية قد اقتصدت فيهما اقتصاداً، فلا تلجأ إليهما، ولا إلى التشبيه أو غيره من طرق البلاغة إلا لغرض حافز، لا للزينة وحدها أو التهويل. يستبين ذلك فى كلام الأنبياء من أئمة الترسل قديماً وحديثاً، لا الذين احتفلوا بالتنميق والتزويق، وتمحّلوا وتكلفوا، وجعلوا الكلام بضاعة تزخرف كما تزخرف السلع المعروضة للأنظار

وهذا كتاب الله، وهو فى الذروة من البيان، لا ترى فيه – إذا تجوز – إلا السهل الممتنع الذى حيكت مادته من المألوف السائغ، والبسيط المستعذب

وللعربية مناهجها فى التعبير، وروحها فى التصوير، ومعاييرها فى التفكير. ويفهم عنها هذا من تمرس بها وكابدها وتوفر عليها – ولها فوق ذلك – مرانتها ولينها وسلاستها

فعبّروا – فى هـذا النطاق – عما تدّعون من غريب مبتكراتكم، وبديع تجديداتكم، ثم دعونا نفهم عنكم، إن استطعتم

(١) عدد ٥٦٠ من الرسالة (٢) البرقشة خلط الكلام

ولقد كنت عمدت إلى ... لقة من هذا « الشعر » فنثرت ما أمكنني أن ألم شعثه منها بعد جهد وعناء ، فحصل لدىّ صفحات كنت أبني عرضها ... كلة من كلاتى ابتغاء التمثيل

فلما عدت إليها بعد ذلك ... يتها تمثيلاً غير صادق لمذهبهم ؛ إذ أن ألفاظهم وحدها هى — ... الحقيقة — التى تكشف عما أوضحت من خصائصهم . ومـ... بدت الألفاظ ، تكشفت عنها الأشخاص . وقد آثرنا — كـ... قلنا من قبل — أن نكون عن هذا بمنأى

* *

حاشية : بعد أن فرغت من مقا... هذا ، جاءتنى الرسالة (عدد ٥٦١) وفيها كلة موجزة للكاتب الفاضل الأستاذ دريني خشبة ، ينقد بها آرائى فى (الشعر الجديد) ، وسأجيب ... إن شاء الله

(للحديث بقية) (ا . ع)

حول شعراء الشباب

الأستاذ « دريني خشبة » رائد لهذا الجيل ، فى جميع فنون الأدب بلا استثناء ، ومن ذلك ... ن الشعر بلا مراء !

وهو يحمل المشعل لشعراء الشباب ؛ فآناً يجندهم تجنيداً للتمثيلية الشعرية ، وآناً ينافح عنهم منافحة الراعى الذى يشملهم بالعطف والحماية ، إذا عنّ لأحد من الشيوخ أن يهاجمهم ؛ كالأستاذ « ا . ع »

ولأن الأستاذ رائد من رواد الجيل ، ولأنه راع للشباب بوجه خاص ، فإن عطفه يتسع ويتسع حتى ليشمل الكثيرين ، فيسلكهم فى عداد الشعراء

والحمد لله والمنة على أننى كنت فى مرتين أو أكثر ممن وسعهم عطف الأستاذ الذى وسع كل شىء ... حتى لقد وسع شعراء بحكم الوظيفة ، وشعراء بحكم الأقدمية ، وشعراء بحكم النظم ، وشعراء بحكم محاولة النظم ، وشعراء بحكم برقشة النظم ؛ وسلك هذه الكثرة الكثيرة مع تلك القلة القليلة التى تستحق لقب الشعراء . وهذا عطف سابغ ولا شك . ولكن ما رأى الأستاذ الفضال ، لو رجوته فى ألا يشملنى بعطفه الوسيع ؟ ولو أنهيت إليه كذلك أن بعض من حشدهم فى كلته يرجونه مثل هذا الرجاء فى خاصة أنفسهم ... مع خالص الشكر ، وموفور التحية

سيد قطب

فلم « رصاصة فى القلب »

طغى على الأفلام المصرية — وهى فى طور النشأة — نوع من الفن الغليظ يمتد إلى استدرار الدموع بتلفيق الحوادث المروعة ، وافتعال المواقف المثيرة ، أو إلى إثارة الضحك بالحركات المبتذلة والنكات المكشوفة . وكان هذا الأسى المنيف ، أو هذا اللهو السخيف ، طبيعياً أول الأمر لعجز الكتاب والممثلين والمخرجين عن إدراك الفن الصحيح ، فكانوا يتوخون التأثير من جوانبه السهلة وطرقه القريبة ، كتمثيل ما يؤثر بطبيعته من نكبات الفاقة والبؤس والمرض والموت ، أو تصوير ما يضحك بذاته من شخصيات الحشاشين والفلاحين و(البرابرة) ، وكل ذلك فى إخراج ينسجم فى قبحه واضطرابه مع سخف الرواية وضعف التمثيل

أما فلم « رصاصة فى القلب » لواضعه الأستاذ توفيق الحكيم ، وممثله الأستاذ محمد عبد الوهاب ، ومخرجه الأستاذ محمد كريم ، فشىء آخر يختلف فى لهوه وجوه وفنه . هو قطعة من المرح الرقيق الرفيق العذب ، فيه الفكاهة وليس فيه الإسفاف ، وفيه النشوة وليس فيه العربدة . رواية طريفة الموضوع فنية الوضع مطردة الحوادث هادئة السياق ؛ وتمثيل طبيعى الحركات منسجم الأشخاص بارع المواقف ؛ وإخراج قام على فهم روح المؤلف وإدراك طبائع الممثلين ، فرتب المشاهد ، وحرك الأشخاص ، وسلسل العمل ، على نظام عجيب من الفن جعل كل شخص وكل شىء فى هذا الفلم قائماً بعمله المطلوب ، وموضوعاً فى موضعه الحق

ولعل أعجب ما فى هذا الفلم أن عبد الوهاب الممثل كاد يطغى على عبد الوهاب الموسيقار ! فقد كان الجمهور مفتوناً برشاقة حركاته وعذوبة كلماته وصدق تمثيله ، حتى كان انتظاره للقطع الغنائية على روعتها وجمالها فى هذا الفلم أقل منه فى الأفلام السابقة . وربما كان مرجع ذلك أيضاً إلى أن روح الفنان التمثيلية غلبت على روحه الموسيقية ، فمذهبه الحديث فى التلحين يغلب فيه تمثيل العواطف والمواقف بالنغم المعبر ، دون أن يكون للقرار تلك النغمة الخاصة التى كانت تشق الحناجر بالهتاف وتدمى الأكف بالتصفيق .

وجملة القول أن (رصاصة فى القلب) فصل جديد فى تاريخ النهضة السينمائية المصرية يسمح للذين قاموا على إنتاجه وإخراجه أن يضعوه يوم المنافسة بجانب الأفلام الأمريكية من غير تهيب ولا تردد .



الأدب يعرضه التاريخ

عمـــــرو بن العاص

للسيدة وداد سكاكيني

كان لى عجب أن رأيت الأستاذ عباس محمود العقاد ، على غير ما خُيل إلىَّ ونعت ، فلما لقيته تهيبت جانبه وتحيرت فى تحيته فوجدتنى أدير على لسانى كلاماً أستل به ملامة وقرت فى نفسه يوم دفعت عن المرأة ما شاء الأستاذ الجليل أن يصمها به من الفتانة فى الفن والضآلة فى العبقريات ، وقد كنت فى سوالف الخيال أحسبه قد بسط على منكبيه من أدبه المتين بردين من العنجهية والخيلاء ؛ ولكن حين أتيت مصر سألت عنه من يعرفه فوصف لى بغير ما حسبت ، ولما سمعته صغَّر الخَبَر الخُبرُ

رجل جبار القامة ، رفيع الهامة ، وديع الطلعة ، يفيض حديثه من علم عقله وشعور قلبه ووحى ضميره ، ويمد ببصره إلى أغوار الكلام فيتناول لآلىء المعانى ، ويجول فى آفاق الفكر بجوال الأديب المكين . قلت له لا تثريب على أن يكون أول ما أرى من مآثر مصر أدبها الحى وثبتها المرموقة فى نوابغها وقادة الفكر فيها ، ونحن وإن اختلفنا فى الرأى والمقالة ؛ فإننا نرجع إلى الحرية . فتبسم عن رضى وتألقت فيه نفس الأديب الكريم

وسرعان ما عكفت بعد لقياه على كتابه الجديد (عمرو بن العاص) فقرأته بإعجاب نسيت فيه ما كنت أحسه من كآبة الاغتراب فى نفسى ، وألفيتنى أستمع للتاريخ وأتدبر الأحداث ، فإذا أنا بين دفتى كتاب على نسق العبقريات ، وسمه ناشروه بأعلام الإسلام ، فكان فاتحة لجهدهم المحمود . جلا فيه العقاد عمراً فى شخص فذ عظيم من شخوص العرب الذين صعدوا الدهر وتركوا فى الدنيا دوياً ، فقرب المؤلف بلباقته وبراعته ما تناءى من التاريخ على القارئين . ومن للناس فى كل حين بالطبرى والدميرى والطبقات والسير وكتب التراجم والأخبار ، فهم إن عركوا أوراقها ومزقوا جلودها من طول البحث فيها والتنقير ما حصلوا منها على طائل ولا نالوا من نائل ؛ حتى كانت منالة الأدب الحديث ، فأورد القراء بكرام الكاتبين موارد السهولة فى التاريخ والسير ، إذ سكبوا بيانهم على الحادثات الغوابر ، فردوها نواضر وبعثوا أمجادها للأجيال لتكون لهم فيها أسوة ومنفعة

وكذلك فعل العقاد فى كتابه الجديد ، فارتديت رداء امرأة من نساء العرب وخلطت نفسى بنسوة من قريش يعجبن بصنع عمرو وخليقته ، ويرين إلى أبيه العاص بن وائل وهو فى الذروة من بنى سهم فيشفقن مما يخوض به الرجال من ملامز عمرو بن العاص وضعة نسبه لأمه السبية ، وأنها كانت كبرى المغنيات فى مكة وآخذهن لأجرة . فقلت لله هؤلاء العرب الأشداء الذين عبدوا أنسابهم فتنافسوا فيها وناشدوا بها الرجال والنساء ، وأرادوها فى الخيل والسيوف ! ثم رأيت عمراً وقد أقضت مضجعه هذه القرحة الدامية ، وأنداده فى صحة منها وعافية ، صليبتهم نقية وحسبهم معروف ، فكانت مغامز الحساد لابن العاص حوافز مرهفة لتعاليه ونشدانه البسطة فى الوجاهة والثروة . وقد أعدته المواهب والشمائل لبلوغ ما صبا إليه فى زهو الشباب ، وكان يرى بلحظ الغيب نصيباً من المجد والسلطان أدركه فى عنفوان الرجولة وفى عهد الفتح المبين

لقد عرض الأستاذ العقاد عمراً فى معاريض الدهاء المبكر ؛ إذ كان يحل خلافاً قد استحكم بين طلحة بن عبيد الله والزبير ابن العوام . وإذا بالإسلام يظل العرب فيندبه الرسول عليه السلام ليحكم بين جماعة من قومه يهددون المسلمين فيكسر ابن العاص شوكة الظالم ويفل جمع الباغين بدهائه وفطنته ، فتتطامن له الشجاعة والحيلة ، ويزكو ذكاؤه مع الأيام القابلة وهو ما يزال يحس بين جنبيه هذه الشوكة الناخزة فى نسبه لأمه التى يجهر بخبرها الناس إذا خلا بعضهم إلى بعض ، ويسرونها كلما رأوه فيزداد طموحه وتغريه وثبات هذا الطموح بالتماس

الأسباب للغلاب بالأمارة والز… ة على من يفاخرونه بشرف الأمومة

ويموت أبو عمرو ، وكان م… سراة السهميين ، فأخو عمرو يرث أباه ويكون ذا مال ، وعمرو… قل فقير ، فأين ماله من أبيه ؟ ها هنا يقلب الأستاذ العقاد و… ه الرأي ومدار البحث حول هذه المسألة ، فيرينا عمراً وقد بز… نافظاً على رضى أبيه . ولم يسلم حتى مات أبوه الذي رغب عن الإ… سلام ، وأنه لا يبعد أن يكون عمرو قد أصاب شيئاً من الميراث … نفق منه ما أنفق بعد يأسه من تجارة الحبشة والشام ، ولم … ن له عند ولايته على مصر إلا اليسير . على أني أجد تعليلاً ل… عمرو سهلاً هيناً ، أفلم تقل أمه : أنظروا من يشبه فألحقوه … . وكان عمرو في صغره يرعى غنما لأبيه ، ثم صار جزاراً . وما… لنك بشيخ من أقرام العرب كالعاص بن وائل أبي عمرو يبلغه … هذا الطعن في نسب ولد يعزى إليه ولم يكن للعرب يومئذ حكـ… مة يدفعون بها عن أنفسهم ما لحقهم من سوء الأنساب… ولاد يعزون إليهم كرهاً ، وكيف حاول أبو سفيان إخفاء … نسب ابنه زياد ، فلا يبعد أن يلجأ العاص بن وائل إلى حرمان عمرو من ماله وهو عنده شيء مادي مقدر ومقوم بالدينار والدرهم . وكان من خصال بني سهم المطال في الدين وكم كانوا له يلوون ! ولعله قال يكفي عمراً أن ينتمي ويدعى إلى العاص

ولا جرم أن مثل هذا الخاطر مر ببال الأستاذ العقاد ، ولكن ما كشفت عنه نصوص الرواية . وكان جهده في حقائق التاريخ أسد الآراء وأبلغ الحجج ؛ فإذا علل الأستاذ المؤلف سر طموح ابن العاص وتعاليه بفقدان نسبه الطيب لأمه ، فما أحرى التعليل بميله للمال وتكالبه عليه لحرمانه الميراث

أما نفس ابن العاص فقد حلل العقاد تفاريقها وألوانها من وجهات عدة ؛ فآونة عرضها في نفس متهالك على الثراء ، وجاء بالبرهان على ذلك في أقوال عمرو وأفعاله منذ عهد الرسول إلى وفاته بمصر بعد فتحها الثاني . وآونة يشرح بديهته ودرايته واضطلاعه بالحكم والولاية ، وظفره بالثقة والخبرة اللتين مكنتاه من الفتح والنضال ، فهو في حضرة البطريق ينجو من مكيدة ، وهو في مبارزته للامام علي ينجو بالحيلة والدهاء

وهذا عمرو كهلاً يدلف إلى أعز العمر بأساً وحصافة ، فهو فاتح فلسطين ثم فاتح مصر مرتين . وهذا عمرو شيخاً منهوماً يتلهف شوقاً إلى المال وله ضيعة وحشم ، ويكون من همه بعد أن عزت عليه الخلافة أن تكون له مصر ولاية جامعة ، فينال ما يتمنى ويموت فيها ويدفن في ثراها

قلت ما أحسن كتاباً يطرف بها الناس أديب الكنانة الأستاذ العقاد ، فهو بعد أن طوف طويلاً في آفاق فنه بالأدب الصرف ، تلفت صوب الماضي الأغر واتصل بمآثره الخالدة ، فماد منها بما غاب عن القارئين وزودهم بعبقريات وهاجة في تاريخ الإسلام تضيء في محمد بن عبد الله وصحبه وأبطاله ، وهذا لعمري أجل فضل يؤديه الأديب للسيرة والتاريخ .

وما انتهيت من كتاب العقاد (عمرو بن العاص) حتى قلت : يا لله لمصر الخيرة ، ويا لمجد العرب فيها ! لقد ملكوها ردحاً من زمان في عهد الفراعنة ، وكانوا رعاة إبل وغنم يسمون « الهيكسوس » ؛ وفتحوها في عهد الإسلام ، وهم أهل دين وحضر ، وكانوا يسمون صحابة رسول الله !

(القاهرة) وداد سكاكيني